

نحن على مفترق الطرق

للككتور محمد مجيب الهاشمي

رئيس جمعية الأبحاث العلمية
حلب (سوريا)

بالتناقض الفكري في نفسه، ذاتا الم الانقسام الباطني على اشده ، وقد يحدث هذا الانقسام المؤلم التوسر العقلي الذي يفضي الى اصابة الإرادة بالشلل ويكون الباعث على الكسل مع فقدان سرور العمل والانتاج وسيادة التردد والملل . ولعل ذلك الانسان ينطفيء بالتدرج كما ينطفيء المصباح الذي يستهلك زيتة دون أن يكون له مدد . وان هذا الانطفاء هو اشد كارثة واعظم فاجعة من الانطفاء المفاجيء الذي يشعر الانسان بفتة بظلمة قاتمة بعد نور وضاء ، فيكون باحثا عن ذلك النور الساطع عندما يحس بفقدانه الآلي . اما في الانطفاء التدريجي ، فيستدرج الانسان من حيث لا يشعر الى الظلمة .

هكذا نجد في يقظتنا الحديثة طرقات شتى وسبلا مختلفة ومشاكل معقدة ، يحتم الواجب القومي والانساني علينا ايجاد الصراط المستقيم الموصل الى الهدف . وان نقوم في حل مشاكلنا بصورة مضبوطة وبسرعة فائقة ، لان الزمن الحاضر يكره الإبطاء والاهمال ويتطلب الانجاز السريع . وان الواجب الملقى على كاهلنا هو اشد خطورة من واجب الغرب في انتقاله من جمود القرون الوسطى الى النهضة الحديثة ، لان الغرب تدرج في ذلك . اما نحن فاننا مضطرون الى أخذ النتائج كما هي واقتباسها اقتباسا تاما . من اجل ذلك يقتضي ان تكون الحلول من اجلنا سريعة ومضبوطة في آن واحد .

نحن على مفترق الطرق في تبديل المفاهيم القديمة بمفاهيم جديدة تتفق مع الزمن . كنا في القديم نكرم

ما كادت الحرب العالمية الاولى تضع اوزارها حتى شاهدنا يقظة في دنيا العرب ووعيا قوميا وحاجة ماسة لتبديل الاساليب القديمة بأساليب جديدة تتمشى مع تطلبات الزمن ورغبتنا في النهوض الى مصاف أرقى الامم . ولكن سرعان ما سرنا في هذا الطريق باحتدام الصراع بين القديم والحديث ، بين تراث آل الينا عن السلف الصالح الذين جسدوا واجتهدوا وسعوا وناضلوا وكان لهم شأنهم في تلك الازمنة الغابرة وكانوا نبراسا في ظلمات القرون الوسطى ، بل بنوا ذلك الجسر الموصل تراث الاوائل بالعصر الحديث ، وبين المدنية العصرية التي نشاهد آثارها واضحة جلية للعيان ، لا يقدر ان ينكرها منكر ولا أن يجحدها جاحد .

ان تفوق الغرب على الشرق كان السبب في ان يشد كثير من ابناء امتنا الرحال الى الغرب ، للارتشاف من مناهله العلمية وليطبقوا ما تعلموه علما وعملا عند العودة الى الوطن . وعند العودة الى الوطن ذهبوا مذاهب شتى ، منهم من وجد الطريق الى وطنه وبلاده، وبقي بروحه عربيا مخلصا ، فأفاد البلاد بعلمه وأفاض من روحه الاصيلة الوثابة . فكان من جملة العوامل في رقي البلاد وتقدمها . ومنهم من أصبح غريبا بروحه وتغنى ، فشن حربا شعواء على كل مظهر من مظاهر الشرق ، فمقت البلاد ومقتته البلاد ، فكنا من الخاسرين له ولجهوده . كم فرد من امتنا هجر وطنه لانه لم يجد مجالا للعمل فيه ، فخسرناه وكسبه غيرنا . وهناك من كان ضائعا بين الشرق والغرب ، وموزعا بين عالمين ، لا الشرق يعجبه ولا الغرب يطربه ، يشعر

وفادة الضيف ونغالي في ذلك ، فتقدم للغريب ما يشتهي ونهمل القريب ، ويقول الشاعر حافظ ابراهيم في هذا الصدد :

أمة قد فت في ساعدها

بغضها الأهل وحب الغربا

وان بقاء هذه السجية في بلادنا دون تعديل ودون يقظة فكر ، قد يجعل بلادنا مطمحا للغرباء الذين يجعلون الحياة صعبة على أبناء الوطن . وانا لنجد في البلاد الاسكندنافية كالنرويج مثلا ، قوما يعرفون كرم الضيف ، ولكنهم يتخذون كل الاسباب لقطع دابر منافسة الاجنبي ، فانهم لا يألون جهدا في الحذر من ان يقطع عليهم القريب طريق العيش ، فممنوع على كل اجنبي ان يدخل بلادهم للكسب الا باذن خاص ، فنجدهم رغم اكرامهم لوفادة ضيوفهم عارفين بأمور اقتصادياتهم ، لا يدعون مجالا للغير لیسد في وجوههم باب الكسب ، ان مثل هذه التدابير تتخذ في سويسرة وانكلترة وغيرهما من البلدان ، وما احوجنا اليها في كثير من الاحيان .

كان من مفهوم المروءة في القديم اىصال العدو الى مأمنه عندما يستجير بنا خائفا مذعورا . ان مثل هذه السجية هي من كرم الاخلاق ، وقد تنفى بها العربي قديما ، ولكنها لا تنفع اليوم ، وتكون السبب في ان يطعم العدو فينا ويتغفل في قلبنا اذا ما نشبت الحرب بيننا وبينه ، لانه عندما يقع في ازمة او يتحرج موقفه يستجير فنجيره . ان هذه الاستجابة تنم ولا شك عن خلق كريم ، ولكنها تعطي الاطمئنان لمن يريد ان يترى بنا الدوائر ويتجسس علينا ، فيطلع على نواحي القوة فيحذر شعبه من الاصطدام بها ، ويدل على نواحي الضعف ليسحقنا بها سحقا ، فنحن هنا على مفترق الطرق . اما ان نعدل مفاهيمنا الماضية ، واما ان نرضى بتقوية التيارات المعادية او ان نأتي بمفهوم جديد لا نترك فيه اى مطمع لطامع ، فنكون بذلك رحماء بيننا وبين من يود مخلصا ان يحقن الدماء في العالم ، اشداء على من يريد سحقنا وابداننا من الوجود والتناول على كرامتنا . ويجب علينا في الوقت ذاته ان لا نضيع اخلاقنا القديمة والتي فتحت لنا قلوب البشر واوجدت لنا اصدقاء في جميع اطراف العالم ، وانا اذا اضعناها تكون في الحقيقة قد اضعنا ذاتيتنا . فنحن اذن نخشى من خسران ذاتيتنا .

وقد ورد في الانجيل : « ماذا يفيد لو ربحت العالم وخسرت نفسك » . وتذكيرا بتلك المطالب السامية والتي يجب علينا ان لا نضيعها الفث كتابا بعنوان : « المثل الاعلى في الحضارة العربية » (1) . فبيئت فيه مثلنا العليا في الدين والفلسفة والتصوف والادب والعلوم الايجابية . والطبيب المثالي حنين بن اسحاق قد رضي بالموت على ان يخون مهنته ، فقد طلب الخليفة العباسي منه دواء يريد قتل عدوه ، فابى حنين اعطاء ذلك رغم الترغيب بالمال والتهديد بالقتل . ولما سأل الخليفة عن سبب الامتناع عن تقديم السم ، اجاب حنين ، بان هناك سببين : الدين ومهنة الطب ، الدين يأمرنا بفعل الخير والجميل مع اعدائنا ، فكيف بأصحابنا واصدقائنا . والصناعة تمنعنا من الاضرار بأبناء الجنس البشري لانها موضوعة لنفعمهم ومقصورة على مصالحهم ، ومع هذا فقد جعل الله في رقاب الاطباء عهدا مؤكدا بايمان مغلظة الا يعطوا دواء قتالا او مؤذيا ، ولم ار ان اخالف هذين الامرين من الشريعتين ، ووطنت نفسي على الموت ، ما كان الله ليضيع من بذل نفسه في طاعته وسوف يشيبي . فاجاب الخليفة انهما لشريعتان جليلتان وأمر بصلته وحمل المال بين يديه . ثم تابعت بحثي في المثل الاعلى في المعرفة النفسية والدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير ورسالة العلم بعنوان : « العلم يرفع المستوى » ، وتراث الحضارة العربية . وهذا الفصل عبارة عن مقال ترجمته عن الفرنسية نشرته مجلة الاونسكو قبل انعقاد مؤتمره في الوطن العربي في بيروت تشرين الاول (اكتوبر) 1948 . وعقدت فضلا عن خالد بن الوليد مثلنا الاعلى ، فعندما عزله عمر ظل يجاهد بنفس الحماس والاخلاص ، ولما سألوه عن سبب ذلك اجاب بانه لا يقاتل في سبيل عمر بل لاعلاء كلمة الله . وعالجت موقف ابي بكر من موت الرسول والمثل الاعلى في الحكم فاتخذت مثلنا الاعلى عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز . ولخصت كتاب ظل الله في الغرب للكاتبة سفريد هوتكه الذي ترجم منذ مدة فريية الى اللغة العربية وتطرق الى ان الامة العربية امة وسطى مشيرا الى الآبة القرآنية الكريمة : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . » وعقدت فضلا عن ان الحضارة العربية نفسها هي مثل أعلى لانها لعبت في الماضي بالمقارنة مع الحضارات القديمة أكبر دور في التاريخ . واخيرا ذكرت وضعنا الحاضر وكيفية معالجته و « العرب في نهضتهم الاخيرة » . ومما قلته :

(1) نشرته دار الكتاب العربي ، بيروت ، ومكتبة النهضة ، بغداد 1964 .

المستمدن (1) . والمدن هو الجسم البراق المعروف Métal وهذا هو في عرف الناس المدن فليس من الضروري تبديل هذا المفهوم . ولا بد لي بخصوص التسميات اللغوية اعطاء بعض الملاحظات :

من الضروري تجنب ذكر كلمة نشادر التي يكثر ذكرها في كتب الكيمياء المقررة ، لان النشادر هو ليس امونياكا بل كلور الامونيوم $Cl N H_4$ الذي يقابله لفظ Salmiaque . اما الامونياك فهو روح النشادر $N H_3$ لا النشادر كما يسمى حمض كلور الماء روح الملح . ان تسميتنا للنشادر تارة $N H_3$ أمونياك وتارة امونيوم $N H_4$ يبعدها عن روح الدقة ويوقعنا في بلبلة نجعل بها اللغة العامية والعلمية ، فينتج عن ذلك الالتباس بين كلور الامونيوم $Cl N H_4$ الذي هو في الحقيقة النشادر وبين الامونياك $N H_3$. حتى ان غاز النشادر هو غاز كلور الامونيوم وليس بأمونياك . وعندنا في المثل العالمي : « عند البدو كله صابون ... »

وهناك ايضا فرق كبير بين الامونياك $N H_3$ الذي يوجد بصورة حرة وبين مركبات الامونيوم التي نسميها كلها بالنشادر ، فالامونيوم $N H_4$ هو جذر لا يوجد بصورة حرة بل عرفت مركباته مثل كلور الامونيوم وكبريتات الامونيوم .. الخ وهو شبيه بالمعادن القلوية مثل الصوديوم (Na) والبوتاسيوم (K) حتى انه امكن استعماله حرا بشروط خاصة ، ولكن سرعان ما يتفكك . حتى ان محلول الامونياك في الماء يشكل ماءات الامونيوم $NH_4 OH$ شبيه بماءات الصوديوم او البوتاسيوم $Na OH$ ، $K OH$. واذا قلنا محلول النشادر كما اصطلحت عليه الكتب في سوريا بمحلول الامونياك قد يتبادر الى الذهن محلول كلور الامونيوم في الماء . واذا اصطالحنا بالنشادر ما يقابل الامونياك ، فيكون ذلك ايجاد لفظة جديدة لا يعرفها احد ولم تلد الاذاعة الكافية في عامة البلدان العربية ، فضلا عن ذلك فهي توقعنا في بلبلة جديدة من جراء عدم تفريقنا بين الامونياك والامونيوم . واذا تعصبنا للفظ النشادر (بضم النون وفتح الدال) لاصلها الايراني والتي تعود الى كلمة سنسكريتية هندية نافاسار Navasara ، فان كلمة آمون تعود الى الاله المصري عمون ، وعلى كل ففي العلم لا يوجد تعصب وان كلمتي آمونياك وأمونيوم مصطلح عليها ومفهومة من جميع الكيميائيين .

« لا يوجد زمن من الازمنة بحاجة الى ان تتألف فيه قلوب ابناء الوطن على اختلاف طوائفهم ونزعاتهم كزماننا الحاضر ، وبذلك نتكاتف على العمل المشترك بدلا من ان يضرب بعضنا وجه بعض . » وبينت أهمية الثبات على المبدأ . واخيرا وجهت نداء الى المربين يلزمهم تلقين حب الوطن ، ويظهر ان كلماتي ذهبت مثل صيحة في واد او نفخة في رماد ، لان الصدى الذي وجدته من عالم الغرب كان اكثر من عالم العرب ، وهذا يدل على اننا لا نزال نغط في سباتنا . فنحن اذن على مفترق الطرق ، اما ان نستيقظ حقيقة وندرج متطلبات العصر الحاضر ، واما ان نتابع نومنا فتصبح نسيا نسيا .

نحن نتغنى بالذكاء الانبي الفاجيء، وقد جر علينا الغلو في ذلك اهمال الدراسة الجدية والتصاميم المدروسة . وكان الارتجال رائدنا في كثير من اعمالنا . جر علينا هذا الارتجال مصائب عديدة اوقعتنا في بلبلة كنا في كثير من الاوقات لا نعرف الخروج منها . وقد مضى زمن الارتجال والعبقرية العفوية ، واتي زمن الدرس الجدي الشامل من كل الوجوه والاحتمالات .

ان من اهم الامور في وقتنا الحاضر توحيد المصطلحات العلمية ، كي نتخلص من البلبلة اللغوية التي هي اشبه بينائي بروج بابل ، فعند انتهائهم من البناء نظرا لابتعادهم عن بعضهم بعضا لم يفهموا لفظة بعضهم . وان اهم عمل تقوم به (كما سبق ان بينت ذلك في المؤتمر العلمي العربي الثالث المنعقد في بيروت عام 1957) بان يعهد ذلك الى متخصصين في العلوم الذين عانوا التدريس في هذه المادة مدة طويلة ، سواء كان ذلك في التعليم العالي او التعليم الثانوي :

لا يعرف الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

ومن الضروري تأليف الكتب المفصلة بهذا الخصوص ووضع كشاف ابجدي لتكون هذه الكلمات حية . ولا بد من اقرار كثير من المصطلحات الاجنبية وعدم اذاعة الوقت في البحث عن الكلمات النائية والشاذة ، بل الاهتمام بما يمكن ان يعرفه الجمهور ، فمثلا لقد اصطالحوا على كلمة المعدن الذي هو ذلك الجسم اللامع البراق بالفلز . وفي الحقيقة ان هذا خام المعدن ، كذلك احتاروا في كلمة مينرال Mineral فيمكن تسمية ذلك بالفلز او

(1) اما تسمية اللافلز بما يقابل Métalloïde والذي اصطالح عليه بشبه المعدن فهو خطأ محض .

ان اضافة الياء للدلالة على الحد الأدنى من المركبات ، خطأ فادح ، لان جميع المصطلحات في جميع الامم تسمى الحد الأدنى في ذلك مثل Ferrique فليس من المصلحة الشذوذ ؟ !

ان استقامة كلمة كحول التي انتقلت الى اللغات الاجنبية ليس من « الفول » كما يظن الكثيرون بل من الكحل وذلك للطفه . وأول من استعمل هذه التسمية هو برسيلزوس (1493 - 1541) الطبيب السويسري الشهير كما جاء في كتاب هوليارد عن صانعي الكيمياء (Makers of Chimestry, E. J. Holmyard, Oxford 1931, p. 111/112).

حيث ورد ان برسيلزوس هو أول من اعطى اسم الكحول لروح الخمر . وفي الاصل هو اسم لطلاء العين الاسود الذي تستعمله نساء الشرق . والكحل أو الكحول اكتسب بالتدريج هذا الاسم معنى لكل مسحوق ناعم ومجزأ . وبعد ذلك بالتحويل الطبيعي أصبح هذا المدلول بمعنى « احسن وادق » شيء في المادة . ومن المحتمل ان برسيلزوس كان ينظر الى روح الخمر كأنه « احسن جزء » في الخمر فسماه كحول الخمر أو بتعبير بسيط الكحول ، وبالطبع لقد ثوبر على استعمال هذه الكلمة ، وان المدلول القديم صار اليوم مهجورا تماما .

وقد نبهت الى ذلك مرارا عديدة وخاصة في المؤتمر العلمي العربي الثالث .

في انحلال المواد الدسمة في البنزين من الضروري تبيان نوع البنزين هل هو البنزين الكيميائي C_6H_6 المستحصل من تقطير الفحم الحجري ، فيقتضي تسميته بنزين القطران أو البترول أما وقود السيارات فهو غازولين واذا اردنا تسميته بالبنزين ايضا يقتضي تسميته بنزين النفط .

وهناك ايضا الانير البترولي الذي يستعمل ايضا لاستخلاص الزيت من البذور النباتية فاستعمال كلمة بنزين لكل هذه السميات هو خطأ فادح .

من الخطأ تسمية الأنيلين $C_6H_5NH_2$ بالانيلين، حيث يقع الالتباس بينها وبين النيلة Indige التي يختلف تركيبها عن الأنيلين تماما . فعادة الأنيلين التي هي اساس الصبغات الانيلينية تستحصل من البنزين (المستخرج من تقطير الفحم الحجري) بترجته وبعد ذلك بمعاملته بالهيدروجين الوليد . أما النيلة التي تستخرج قديما من نبات النيلة والمستعملة في الصبغ باللون الازرق ، فالمادة الاصلية في استخراجها صنعا هي النفثالين التي هي عبارة عن حلقتين من

حلقات البنزين المذكور ، بطرق معقدة لا مجال لتبيانها هنا . ومما يجب الاشارة اليه ان الصباغين في بلادنا (سوريا) يعرفون جيدا التفريق بين النيلة والانيلين، فيستعملون الاولى في صبغ الازرق والثانية للتلوين باللون الاسود بمعاملتها مع ثاني كرومات البوتاسيوم ولا ادري ما هو المسوغ لتسمية التكنيك Technique بكلمة تقنية ، اوليس الافضل الرجوع الى الاصل ؟ يجب علينا ادراك قيمة الزمن في عصر السرعة ، وعندني انه من الضروري اخذ المصطلحات الحديثة كما هي في كثير من الاحيان ، فنحن محتاجون لدراسة الكتب الاجنبية ، واذا اصطلحنا على المكتشف الجديد بغير ما عرف به بعدنا ذلك عن الركب ، ويكون حجر عثرة في سبيل تقدمنا في العلم ، فبدلا من تضييع الاوقات الثمينة مثلا في ايجاد مفهوم جديد للبنسلين ان نقوم في استحصاله ومعرفة كنهه ومعياراته . وعندما يتاح لنا اكتشاف جسم جديد عند ذلك لنا الحق ان نضع له مفهوما جديدا نرغم غيرنا عليه . وفي وضع تخلفنا علينا مجاراة القافلة ، ولم تكن اجدادنا قديما متعصبة في قبول اللفظ الاعجمي فقالوا جغرافيا وفلسفة وارطماطيقا . . . الخ فما الداعي لتعصبنا نحن اليوم ، مع بعدنا عن العلوم بعدا عظيما . اذكر عندما كثت في لجنة الكيمياء من المؤتمر العلمي العربي الثالث و اردنا ايجاد مصطلح جديد من اجل كلمة Polymérisation ، وبعد اخذ ورد ونقاش طويل اضطررنا الى اخذ كلمة بامرة ، نعم قد يقتضي نحت الكلمة لكي يسهل نطقها على اللسان العربي ، ولكن يلزم عدم اضاءة الاوقات في الكلمات بل من الضروري الترجمة ، حتى يقتضي عدم الاكتفاء بالترجمة بل فتح مخابر لتفهم القوانين العلمية ، لان هذه العلوم من العلوم التجريبية . ويمكننا الاعتناء بما هو مهم في الصناعة ورفع المستوى الاقتصادي . نعم ان العلم للعلم ، ولكن من الضروري ان يتقدم ذلك بمض مراحل تطبيقية هامة من شأنها جذب الانسان للعلم . وفي البناء العلمي يلزم ان نبتديء في البناء من الاسفل لا من الاعلى ، كما سبق ان حلت ذلك في مجلة العلوم (عدد 12 ، عام 1967 ، ص 63 وما بعدها) . واني بعد رحلة علمية الى ديار الغرب (وخاصة المانيا الاتحادية) دامت ما يقرب من اربعة اشهر ، زرت معاهد الكيمياء والجيولوجيا والمينرالوجيا بصورة خاصة ، فايقنت بان المسافة بيننا وبين الامم المتقدمة شاسعة جدا . واذا كنا جادين في العلم يلزم ان تكون جامعاتنا ومعاهدنا العلمية في العلوم الايجابية على نسق الجامعات العالمية التقدمية ، فالدرة مثلا

لمبدأ التحرر والاعتناق وعدم الخضوع الاعمى . من الضروري اذن الارتكاز على مبدئين : التحرر الفكري والرحمة والرافة ..

فنحن هنا ايضا على مفترق الطرق ، اما ان نعرف هذا الاقتباس الذي من شأنه ان يوصلنا الى الابتكار مع مراعاة الرحمة والانسانية ، او نعيش على هامش الحياة فاقدى العزة والكرامة ، فلا يكفي ان نعيش ونقهر الموت

بل نود عيشا لائقا بعيدا عن الذل والهوان . والخطر جاسم بآبادتنا كما سبق لشعوب اوروبا وابداء العرق الاحمر من سكان امريكا الاصليين ، رغم وجود حضارة لهم ، كما اثبت البحث الاثري ذلك . ولم يبق منهم الا عدد قليل جدا ، يريد المهاجرون الاوروبيون المحافظة عليهم ، كما يحافظ الانسان على نوع غريب من الحيوان .

نحن بحاجة شديدة لتبديل النزعة السكونية « ستاتيك » التي تفضي الى الشلل والاستعاضة عنها بنزعة حركية « ديناميكية » رائدها الانتقال من القول الى الفعل .

برهنا في مناسبات عديدة على امكانية الفرد ونشاطه وحيويته ، ولكن يجب علينا معرفة كيفية ضم جهود هؤلاء الافراد الى جهود جماعة قوية ، لان جهد الفرد لا قيمة له تذكر بجانب جهود الجماعة . فالفوائد الناجمة عن التضامن والتعاون والتعاطف المنظم لا يمكن حصرها ، وان الاضرار التي تحدث من فقدانها عظيمة جدا ، وقد تكون السبب في تدهور الامة وسقوطها . ان تطوير الميول والعواطف التي تؤلف خميرة الحياة الاجتماعية حجم الفوائد للبلاد والعباد ، فيجب علينا تعوده لتتلافى اخطاء وقعنا بها في الماضي .

اذا سأل احد منا المانيا المغلوبة على امرها ما راها بعمل هتلر السابق ؟ وجد الالمان لا يقولون ان هتلر اخطأ ، بل يقولون نحن اخطانا في زج انفسنا في الحرب الماضية ، لانهم يعتقدون ان ذلك الرجل هو فرد منهم لا قدرة له بالسيطرة عليهم وقيادتهم رغم انفسهم وفيهم حيوية ونشاط .

ان الشعور بالمسؤولية العامة التي يجب على الامة ان تتحملها هو الذي يخلق الوعي الاجتماعي

التي لانكاد نعرف عنها الا امورا نظرية فقط ، نجدهم يتداولون اجهزة رنين النواة والمجهر الالكتروني والدماغ الالكتروني وغير ذلك من الآلات العالية الثمن والحديثة ببساطة جدا كما يلعب عازف البيانو الماهر على البيانو ... الخ

فهم يبدأون في البلاد التقدمية باعطاء الطفل الالعب العلمية التي يرى فيها لذة ومتعة وشحلا للملكات ، ولا يكاد الطفل يمسي عندهم الا وتكون العابه تخدم غاية علمية صناعية ياخذها لهوا ولعبا وفرحا ومسرة . وكم من اساطين العلم فتقت هذه الالعب قابلياته فكان من كبار المكتشفين في العالم .

ان نقطة هامة لا نفهمها حتى الان ، الا وهي ان كل ابداع في الفكر لا يأتي عن طريق القسر والاكراه ، لانهما يبعثان الكدر ، بل عن طريق الانطلاق وهذه تبث السرور والفرح ، ففي الاول تنكمش النفس وفي الثانية تتفتح .

ان الدراسة العالية تبنى على الدراسة المتوسطة وهذه على الابتدائية ، حتى انه لا يكفي للطلاب ان يرى الاجهزة بل لا بد له من ممارستها ومعرفة فائدتها العلمية .

ان تقدمنا في العلم كثيرا لا ينعفنا بل ينفع غيرنا ، كم من ذوي الهمم العالية من العرب ذهبوا للتخصص في الغرب ، وقليل منهم قد رجعوا الى الوطن .

وقد سألتني احد المخبرين الصحفيين : هل في الامكان وجود متخصصين في الذرة عندنا ؟ فأجبت انه في الامكان ذلك على الشرط الداب والعمل المتواصل في حقول العلوم الطبيعية من الفيزياء ، والكيمياء ، على ان نقوم قبل كل شيء بالتحرر العقلي والقضاء على الجمود الفكري ، وقرار مبدأ التحرر الذاتي والبحث الشخصي ، وبدون هذا المبدأ لا يمكن لنفوسنا ان تتبها لفهم العلوم الطبيعية فهما جيدا . ومن الضروري فتح باب البحث والاستقصاء على مصراعيه لتسير في طريق الكشف والابداع .

ان المبدئين العظيمين من التحرر والانسانية ، هما ضروريان في جميع مراحل البحث العلمي ، والتحرر لا بد منه خاصة في المرحلة الاولى من فهم الطبيعة ، حتى اذا لم تقم في عمل الخطوة الاولى ، فلا يمكننا متابعة السير ، طبعاً انه ليس من الضروري تقديس شخص معين . لان هذا التقديس مخالف

ويصحح الاخطاء الماضية ، اما اذا القت الامة التبعة على كاهل فرد من الافراد وابتعدت عن التفكير في المصير وابداد حل جماعي ، عند ذلك يكون من الصعب عليها السير متكافلة متضامنة الى الامام .

نعم لقد دبت الحياة الجماعية فينا ، ولكن يجب علينا طلب المزيد من ذلك ، وأن لا نكون قانعين بهذا القدر اليسير ، فرجال التربية والاجتماع يرون قوة المجتمعات البشرية وقدرتها لاتتبع بعدد الافراد الذين يؤلفونها ، بل تتناسب مع شدة الروابط التي تربط بعضهم ببعض . ويضربون لذلك مثلا بأن صلابة الاحجار والصخور لاتكون لعظم حجمها ، بل تتناسب مع تماسك اجزائها ، فتشبه بعض الامم بالاحجار اللينة وبعض منها بالاحجار الصلبة واخرى بالصخور الصلدة . واذا كنا من الذين يريدون مقاومة الانواء والعواصف للاعراب عن وجودنا ، فعلينا ان نكون كالجلاميد القاسية ، لا كالتراب الهش الذي يتفتت لاية صدمة من الصدمات ولا يقاوم هبوب الرياح .

ان مثلنا اليوم كالمثل المضروب عن فقيه صحب نوتيا في نزهة بحرية في سفينة ، فسأل الفقيه النوتي ، هل تعرف البلاغة ؟ فأجاب النوتي بلا ، فقال الفقيه اضعت نصف عمرك ، ثم سألته عن البديع والعروض وغيرهما ايضا ، فلما كان الجواب كذلك نفيا في كل مرة ، كان الفقيه يصرح له بأنه اضاع في كل اهمال لهذه المواد جزءا من عمره . ولما عصفت زوبعة بالسفينة وأوقعتها في البحر ، سأل النوتي الفقيه : هل تعرف السباحة ؟ فأجاب الفقيه بالنفي ، عند ذلك قال النوتي : والآن اضعت عمرك كله !! وفي ذلك تذكرة لاولي الالباب .

نحن على مفترق الطرق في كل امر من امورنا ، فاما حياة او موت ! وفي قلب بلادنا العزيزة تكمن شرذمة من شذاذ الافاق تريد القضاء علينا ، القضاء المبرم . وعلى قدر ادراك عظم المسؤولية الملقاة على كاهل امتنا جميعا يكون حفظنا في النجاح والنصر المبين .

